

السلع المتبادلة

تتنوع مصادر البضائع الواردة إلى بلاد السودان، من البضائع المشرقية والمصرية والهندية والأوروبية، لكن أغلب البضائع هي من المغرب الإسلامي، لاسيما في فترة ازدهار الدويلات الإسلامية، حيث تصنع المواد الأولية التي تجلب من السودان ويعاد بيعها.

تتنوع البضائع من جهة أخرى من ضروريات إلى سلع استهلاكية وكمالية، والبضائع الخاصة بالأناقة التي يطلبها الأغنياء من الملابس والحلي الثمينة والفاخرة، فأثناء تواجدها بالأسواق تعد نفيسة لدرجة أنها تشكل هدايا ثمينة.¹ والمتتبع للسلع عبر التاريخ يجد أنها تنوعت، لكن هناك بعض السلع بقيت ضرورية ومطلوبة في الأسواق السودانية، ومن أهم السلع:

الملح: يعد الملح من المواد الأساسية التي يشتريها أهل السودان وهي من المواد التي كانت القوافل تحملها منذ القديم وتوجد مناجم الملح في بلاد البربر وأشهرها ممالح تغازة. ويذكر بعض المؤرخين أن الملح يشكل أكثر من نصف أحمال القوافل الشمالية، ونظرا لقيمة الملح في بلاد السودان فإنه يتخذ أحيانا كعملة للتعامل بها يقول ابن بطوطة "وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ويتبايعون به"²

القمح: من السلع المصدرة من المغرب الأوسط، يستهلكه الغني والفقير في بلاد السودان وكان ثمنه مرتفعا في القرن الرابع عشر حيث يبيع بمدينة تكدة بحساب عشرين مدا من أمدادهم من القمح بمثقال من الذهب، ومد بلاد السودان ثلث المد ببلاد المغرب

كما يباع الزبيب والتين المجفف ورد في الفتاش انه في سنة 1594 كان يباع في سوق تنبكتو كل عشر تمرات من تمر بسكرة بخمس ودعات³ "4.

¹ عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي،

² ابن بطوطة، مصدر سابق،

³ وهو نوع من الأصداف يتخذ في الأسواق كأوراق النقود، حيث يعوض بها عن الذهب وتستعمل كحلي، تستورد من بلاد المغرب ومن الجنوب من سواحل غينيا.

⁴ بودواية

المنسوجات والطور والحلي: تصدر إلى بلاد السودان المنسوجات التي تصنع يتلمسان في عهد بني زيان منها البرنس والزربية والكساء ونسيج القطن الذي يلبسه معظم سكان السودان.⁵ كما تشتري الطبقة الراقية من حكام وقضاة وتجار الألبسة الحريرية القادمة من المغرب وأشهرها السوسية نسبة إلى سوس ببلاد المغرب الأقصى، ثم أصبحت تجلب الألبسة الحريرية من أوروبا ومن مصر.⁶

تشكل العطور أهم المواد التي تصدر إلى بلاد السودان حيث تشتري هناك بأثمان مرتفعة، ويقبل عليها الأغنياء. وكان بعض موادها الأولية مثل المسك والعنبر تجلب من السودان، وبعضها تصنع من الخزامى. أما الحلي فهي مصنوعة من النحاس وموشاة بالذهب، وبعضها ينح من الذهب الخالص.

المعادن والجلود: منها النحاس من المعادن التي تصدر بكثرة إلى بلاد السودان، حيث يعيدون تصنيعه في سنغاي، وكذلك الأدوات الحديدية كالقدور والأمواس ووالسكاكين والإبر.⁷ والسروج واغمد السيوف.

الكتب والمخطوطات والورق والأقلام: نظرا لانتشار الثقافة الإسلامية فقد أولى أهل السودان اهتماما خاصا بالكتب، يقول الوزان: لاتخل قافلة من المغرب إلى تنبكتو من الكتب، لأن أسعارها تفوق مايدفع نظير أي سلعة أخرى وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع، لأنه كثر طلبها وغلت أسعارها.

أما السلع المستوردة من بلاد السودان فأهمها:

الذهب: أهم وأقدم سلعة سعى التجار للبحث عنها في بلاد السودان، يوجد في غانة وونجارة وتجلب على شكل سبائك وقطع نقدية، وقد كان السودانيون يحتكرون مناجم الذهب، كما خضعت مناجم الذهب للتنظيم من قبل بعض ملوك السودان. كان التجار المغاربة يحملون مقابل تجارتهم ذهباً.

⁵ المرجع نفسه، 324

⁶ عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي،

⁷ يحيى بوعزيز، مرجع سابق،

العبيد: يجلب العبيد من الجنوب حيث القبائل الموسى التي لم تدخل إلى الإسلام،⁸ كانت أسواق النخاسة في غاية النشاط، وأهمها سوق غاو. يستخدم سكان المغرب العبيد في ميادين مختلفة منها استخراج الملح من المناجم والزراعة والصناعة وحراسة القوافل ونقل البضائع كما يستخدمون في القصور وحراس الملوك والأمراء.⁹

بضائع أخرى: يقول زاهر رياض أن القرطاجيين كانوا يجلبون من السودان الذهب والعبيد والياقوت، أما ريش النعام والعاج فيستبعد ان تجلب لأن هذه الحيوانات كانت موجودة في الشمال الإفريقي،¹⁰ ولكن عندما انقرضت بعض الحيوانات في شمال إفريقيا، أصبح التجار يحملون العاج الذي يجلبون منه كميات كبيرة ويستعمل في التصنيع وصناعة الأثاث الفخم، ويشتره الأوربيون لصناعة المعابد والتماثيل.¹¹ ومن البضائع التي لها رواج كبير في الأسواق المغربية ريش النعام حيث كانت تحشى به الأرائك والمخاد في بيوتات الموسرين، كما يتستخدم منه المراوح واو يستعمل للزينة، كانت أسعار بيض النعام لأن التجار يجلبون منه كميات قليلة ويستخدم في الأدوية وللزينة، كما يجلب التجار أيضا التوابل لصناعة العقاقير والأدوية.

كانت التجارة مع بلاد السودان تقوم على الذهب بالدرجة الأولى، فقصدته التجار من أقدم العصور، يأخذ أهل السودان مقابله أشياء استهلاكية او لاقيمة لها مثل الودعات، أو مواد غذائية ضرورية لاتوجد في بلادهم مثل الملح. وقد كانت بلاد الذهب محل أطماع بعض الملوك مثل أحمد المنصور السعدي، كما فتح شهية الدول الأوروبية لاستعمار المنطقة ونهب ثرواتها.

⁸ عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي،

⁹ بودواية، مرجع سابق،

¹⁰ زاهر رياض، مرجع سابق،

¹¹ بودواية، مرجع سابق،